﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: 32 - 37]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

كـــونُ الـنّـــار موعظةً لا يُنافي هَوْلَها

وبعد قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ ناسبَ ذلك أنَّ حصرَ النّار في الذِّكرى، ربَّما أوهَمَ نقصًا في أمرِها يوجب لبعضِ المعاندين ريبةً في عِظَمِهِ، وأنَّهُ لا حقيقة لها ولا عذابَ فيها؛ ردَّ ذلك هنا[1].

ووجهُ مناسبة آياتِ القسم ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ لما قبلها هو: أنَّه تعالى لمّا حصَرَ أمرَ النّار في الذِّكرى، ونفى أن يُظنَّ بها نقصٌ فيما جُعلت له؛ أقسمَ على عِظَمِ أمرِها؛ تأكيدًا للكلام[2]، ولمّا أقسَم على ما أخبَرَ به من أمر النّار؛ أكَّد تعظيمَها والتَّخويفَ منها[3].

حثُّ النّاس على الخير وإبعادُهم من الشَّرِّ

وأمّا مناسبة قوله تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ للآية التي قبلها ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾؛ فهي أنَّه لمّا كان التَّقدُّم عند النّاس محبوبًا والتَّأخُّرُ مكروهًا، وكان ﷻ قد خلقَ في الإنسان قوَّةً واختيارًا بها يفعلُ ما قدَّرهُ الله له؛ قال تعالى باعثًا لهم على الخير ومُبعِّدًا من الشَّرِّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَدْبَرَ﴾: (دبر) أصلٌ واحد وهو آخرُ الشَّيء، وخلفه: خِلافُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 67 - 68.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68 - 69.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 69 - 70.

قُبُلِه. والإدبارُ مصدرٌ مجعولٌ ظرفًا، نحو: مقدم الحاجِّ، وخفوق النجم. واسم فاعله (مُدْبِر) بمعنى التَّولّي والذَّهاب، ودُبِرَ بالشَّئ: ذُهِبَ به. ودبَرَ النَّهارُ وأدْبَرَ بمعنًى، وذلك إذا جاء آخرُه، وهو دبُره. ووَلَّى وذَهَب[1]. وإدبارُ الليل في الآية: اقترابُ تقضّيه عند الفجر[2].

2) ﴿أَسۡفَرَ﴾: (سفر) أصلٌ يدلُّ على الانكشاف والجلاء[3]، ومن ذلك يقال: سَفَرَ البيتَ: كَنَسَهُ بالمِسْفَرِ، أي: المِكنس، وذلك بإزالة السَّفير عنه، وهو التُّراب الَّذي يُكنَسُ منه، والسِّفر: الكتاب الَّذي يكشف عن الحقائق[4]، وسفرت المرأة عن وجهها؛ أي: كشفت[5]، وسُمّيَ المسافر مسافرًا؛ لكشفه منازلَ الحضَر عن مكانه وبروزِه للأرض الفضاء[6]، ويقال: أسفَرَ إذا أشرَقَ لونُه، قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨﴾ [عبس: 38][7]. ومعنى ﴿أَسۡفَرَ﴾ هنا: أضاء[8]. أي: ابتدأ ظُهورُ ضوء الفجر[9].

3) ﴿ٱلۡكُبَرِ﴾: (كبر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الصِّغَرِ[10]، ومن ذلك: الكِبْرُ، وهو إعجابُ الإنسانِ بنفسِه، وذلكَ أنْ يرى نفسَهُ أكبرَ مِنْ غيرِه[11]. والتَّكبُّرُ يقالُ على وجهينِ: أحدُهما: أنْ تكونَ الأفعالُ الحسنةُ كثيرةً في الحقيقةِ، وزائدةً على محاسنِ غيرِه، وعلى هذا وصفُ اللّه تعالى بالتَّكبُّرِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر: 23]. والثّاني: أنْ يكونَ متُكلِّفًا لذلكَ مُتشبِّعًا، وذلكَ في وصفِ عامَّةِ النّاسِ، كقولِه: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: 72]. والاستكبارُ: أنْ يطلبَ الإنسانُ أنْ يصيرَ كبيرًا[12]، والكِبْرياء: التَّكبُّر والعظمةُ[13]. والكُبَر: جمع الكُبْرَى في نوعِها، والمُراد به هنا: الدَّواهي، والعظائم[14].

(1) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دبر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سفر).
(4) الراغب، المفردات: (سفر).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (سفر).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (سفر).
(7) الراغب، المفردات: (سفر).
(8) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 713، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 84.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(11) السمين، عمدة الحفاظ: (كبر).
(12) الراغب، المفردات: (كبر).
(13) الخليل، العين: (كبر).
(14) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 85، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 69.

4) ﴿يَتَقَدَّمَ﴾: (قدم) أصلٌ يدلُّ على سَبْقِ الشَّيءِ[1]، ومن ذلك يقالُ: شيءٌ قديمٌ، إذا كانَ زمانُهُ سالفًا[2]، ويقالُ: حديثٌ وقديمٌ، وذلكَ: إمّا باعتبارِ الزَّمانين، وإمّا بالشَّرَفِ، نحوُ: فلانٌ مُتقدِّمٌ على فلانٍ، أي: أشرفُ منهُ[3]، وقادمةُ الرَّحْلِ: خلافُ آخِرتِهِ، ولفلانٍ قَدَمُ صِدْقٍ، أي: شيءٌ سابقٌ مِنْ أثَرٍ حَسَنٍ[4]، وهو يتقدَّمُ بينَ يدَيْ أبيهِ: يَعْجَلُ في الأمرِ والنَّهيِ دونَهُ[5]. والمرادُ هنا: السَّبقُ إلى الخير والطّاعة[6].

5) ﴿يَتَأَخَّرَ﴾: (أخر) أصلٌ يدلُّ على خلاف التَّقدُّم[7]، ومن ذلك يُقال: أخَّرته فتأخَّر، واستأخر، مثل تأخَّر، والآخِر: بعد الأوَّل[8]، والمستأخِر: نقيض المستقدِم، وبِعتُهُ سِلْعةً بأخَرة؛ أي: بتأخير[9]، ومُؤخِرُ العين: ما يلي الصّدغَ، ومُؤخِرة الرَّحل: الَّتي يستند إليها الرّاكب[10]. والمراد هنا: التأخُّر إلى الشَّرِّ والمعصية[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العاقل لا يرضَى بسُلوك سبيلِ النّار

يقول تعالى ذِكره: ليس القولُ كما يقولُ مَن زعمَ أنَّه يكفي أصحابَهُ المشركين خزَنةَ جهنم، ثمَّ أقسمَ ربُّنا ﷻ فقال: والقمرِ واللَّيلِ إذ ولَّى ذاهبًا، والصُّبحِ إذا أضاء، إنَّ جهنَّم لإحدى الأمور العِظام نذيرًا لبني آدمَ لمَن شاء منكم أيُّها النّاس أن يتقدَّم في طاعة الله، أو يتأخَّر في معصية الله[12].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قدم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم).
(3) الراغب، المفردات: (قدم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم).
(5) الزبيدي، تاج العروس: (قدم).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 86.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخر).
(8) الجوهري، الصحاح: (أخر).
(9) الأزهري، تهذيب اللغة: (أخر).
(10) الرازي، مختار الصحاح: (أخر).
(11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 86.
(12) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 32 - 34.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ ﴿كَلَّا﴾:

(كلّا) حرفُ ردعٍ وإبطال، والغالبُ أن يقع بعد كلام من متكلِّم واحدٍ أو من متكلِّم وسامعٍ، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: 61 - 62]، فيُفيد الرَّدعَ عمّا تضمَّنه الكلامُ المحكيُّ قبله، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: 79]، ويجوزُ تقديمُه على الكلام إذا أُريدَ التَّعجيلُ بالرَّدع والتَّشويقُ إلى سماع ما بعدَهُ، وهو في قوله تعالى هنا: ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ﴾ محتملٌ لأن يكون إبطالًا لِما قبله من قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ﴾، فيكون ما بينهما اعتراضًا، ويكون قوله: ﴿وَٱلۡقَمَرِ﴾ ابتداء كلام، فيَحسُن الوقفُ على (كلّا). ويحتملُ أن يكون حرفَ إبطالٍ مقدَّمًا على الكلام الَّذي بعده من قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ تقديمَ اهتمامٍ لإبطال ما يجيءُ بعده من مضمون قوله: ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾، أي: من حقِّهم أن ينتذروا بها، فلم ينتذِرْ أكثرُهُم، على نحو معنى قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣﴾ [الفجر: 23]، فيحسُن أن توصَل في القراءة بما بعدَها[1]. والحاصلُ أنَّ ﴿كَلَّا﴾ إنكارٌ لأن يتذكَّروا بها؛ لأنَّهم لا يتذكَّرون[2].

المشركون ليسوا بأهلٍ للذِّكرى

ويحتمل أن يكون ردعًا لمن يُنكر أن تكون إحدى الكُبَر نذيرًا للبشر[3]، أي: إيّاك أن ترتاب في أهوالِها وعظيمِ أمرِها وأحوالِها وأوجالِها؛ لأنَّ الأمرَ أطمُّ وأعظَمُ ممّا يخطر بالبال، فلْيَرتدِعِ السّامع ولْيَنزَجِر[4].

مُـنـكِـرُ عـذاب النّار مستوجبٌ للإنكار والزَّجر

ويحتملُ أن يكون ردعًا لقول أبي جهلٍ وأصحابه: إنَّهم يقدرون على مقاومة خزَنة النّار، أو رَدعًا لهم عن الاستهزاء بالعِدَّة المخصوصة[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 321.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 262.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 713، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 335.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 713، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 68.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 713.

سرُّ الإتيانِ بأسلوبِ القسمِ:

إيقاظُ أهلِ الغفلةِ من غفلتِهم وعِنادِهم

الإتيانُ بأسلوبِ القسَم في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾؛ لتأكيدِ الكلامِ إشارةً إلى ما لأغلبِ المخاطَبين مِنَ العِناد؛ إيقاظًا ممّا هُم فيه من الغفلة، وتنبيهًا لهُم على السَّعي في تقويم أنفُسِهم بما يستعملونه من الأدوية الَّتي يُرشدهم سبحانه إلى علاجِ أمراضِ القلوب بها[1].

نكتةُ القسمِ بالقمرِ:

إدبارُ اللَّيلِ إيماءٌ إلى زوالِ الشُّكوكِ في أخبار القرآن

القسَمُ بالقمر في قوله ﷻ: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ تشريفٌ له، وتنبيهٌ على النَّظر في عجائبه وقُدرة الله تعالى في حركاته المختلفة الَّتي هي مع كثرتها واختلافها على نظامٍ واحدٍ لا يختلُّ، يدلُّ على عظمة الخالق[2]، وإيماءٌ إلى عِظَم منافعه[3]، ومن ذلك أنَّه لا يظهر معه ظلامُ اللَّيل، كما أنَّ ضياءَ القرآن لا يظهَرُ معه ظلامُ الجَهل لمَن أعمَلَ عَينَ فِكرَته، وألقى حظوظَ نفسه، فالقمرُ هو آيةُ اللَّيل الهادية لمَن ضلَّ بظلامه[4].

دلالةُ تعريفِ (القمرِ):

تعريف (القمر) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ للجنسِ الذي له فردٌ واحدٌ، وهو القمر المنير المعروف، وقد أفادَ القسَمُ به عِظَمَ شأنه وكثرةَ منافعه.

غرضُ تقديمِ القسمِ بالقمرِ على القسمِ بغيرِهِ:

تقديمُ القسم بالقَمر علَى القسَم بغيرِه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾؛ لأنَّه نيِّر، ولأنَّ أكثرَ العبادات والمعاملات مَنوطة بحركته[5].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 397.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 567.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 433.

بلاغةُ القسمِ باللَّيلِ:

إدبـــارُ الـلَّـيـل إيماءٌ إلى زوالِ الـشُّـكـوكِ في أخبار القرآن

القسَمُ باللَّيل في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ تشريفٌ له، وتنبيهٌ على عظيم خَلْقِه وكثرةِ منافعِه الدّالَّة على تعظيمِ الله تعالى مالكِ الكلِّ وقِوام الوجود، لا إله إلّا هو العزيز القهّار[1]، وإيماءٌ إلى زوال الجهلِ وانصرافِ الشُّكوك في أخبار الله تعالى، كما أنَّه بمُضيِّ اللَّيل ينكشف الظلام[2].

دلالةُ تعريفِ (اللَّيلِ):

جـنـسُ الـلَّـيـل عظيمُ الشَّأن

تعريف (اللَّيل) في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ للجنس، والمرادُ القسَمُ بالجنس المسمَّى بالليل، وهو جنسٌ كثير المنافع، وفيه دلائلُ على قدرة الله تعالى، وأنَّ انتظامَ العالَم بيده ﷻ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿أَدۡبَرَ﴾، وما فيها من قراءات:

حال إدبارِ اللَّيل تَمضي وتحضُر وتستقبل

التَّعبير بالماضي في قوله ﷻ: ﴿إِذۡ أَدۡبَرَ﴾؛ لأنَّ ﴿إِذۡ﴾ ظرفٌ لِما مضى من الزَّمان، فيُناسبها الماضي[3]. وأقسمَ باللَّيل في حالِ إدباره الَّتي مضَت، وهي حالٌ متجدِّدة، تمضي وتحضُر وتستقبل، فأيُّ زمنٍ اعتُبر معها فهي حقيقةٌ بأن يُقسَمَ بكونها فيه[4].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة والكسائي وأبو جعفر: ﴿إِذَا دَبَرَ﴾[5]، فهي على أنَّ ﴿إِذَا﴾ ظرف لِما يُستقبل من الزَّمان، و﴿دَبَرَ﴾ بزنة (ضَرَبَ). والرَّسمُ مُحتمِلٌ للقراءتين؛ فالصّورة الخطّيَّة لا تختلف. و(دَبَرَ اللَّيلُ وأدبرَ) بمعنى واحد، أو ﴿دَبَرَ﴾ بمعنى: انقضَى، و﴿أَدۡبَرَ﴾ بمعنى: تولَّى[6].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 397.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 277، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 144.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322 - 323.
(5) ابن الجزري، النشر: 2/ 393.
(6) السمين، الدر المصون: 10/ 550.

وعلى قراءة ﴿إِذَا دَبَرَ﴾: (إذا) ظرفٌ لِما يُستقبل من الزَّمان، والتَّعبير بالماضي إشارةٌ إلى التَّحقُّق، أو (إذا) تقلِبُه إلى المستقبل[1]، فيكون القسَمُ بالحال المستقبلة من إدبار اللَّيل بعد نزول الآية[2].

براعةُ تقييدِ اللَّيلِ بالإدبارِ والصُّبحِ بالإسفارِ:

القسَمُ الإدبار وبالإسفار محلُّ عِظةٍ وعِبرة

تقييدُ اللَّيل بوقتِ الإدبار في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾، وتقييدُ الصُّبح بالإسفار في قوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾؛ لأنَّهما وقتا حدوثِ أمرَين عظيمَين[3]؛ فالتَّقييدُ بهما تنصيصٌ على ما هو محلُّ العِظة والعِبرة.

بلاغةُ القسَمِ بالصُّبحِ:

تمثيلُ حالِ الفريقين من النّاس عندَ نزول القرآن بحالِ اختراقِ النّور في الظُّلمة

القسَمُ بالصُّبح في قوله ﷻ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ - بمعنى: أقبلَ ضياؤه - للإشارة إلى حصول العِلم والهداية بحُلوله[4]، وللحثِّ على الاعتبار به والاستدلال به على قُدرة خالقِه[5]. وأيضًا بالقمر والصُّبح تظهَرُ أنوارٌ في خلال الظَّلام، فناسبَتْ حالَي الهُدى والضَّلال من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾، ومن قوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾، ففي هذا القسَم تلويحٌ إلى تمثيل حالِ الفريقين من النّاس عند نزولِ القرآن بحالِ اختراقِ النّور الظُّلمةَ[6].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿إِذَآ﴾ والماضي في ﴿إِذَآ أَسۡفَرَ﴾:

إسفارُ الصُّبح حالٌ تمضي وتحضُر وتستقبل

﴿إِذَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ اسمُ زمانٍ منتصبٌ على الحال من (الصُّبح)، أي: أُقسِم بالصُّبح في هذه الحال العجيبة الدّالَّة على النِّظام المُحكَم المُشابه لمَحو الله ظلماتِ الكفر بنور الإسلام، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 277، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 144.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322 - 323.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 433.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68.
(5) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 359.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322.

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: 1][1]، و﴿إِذَآ﴾ ظرفٌ لِما يُستقبل من الزَّمان، والتَّعبير بالماضي لتحقُّقه، أو لأنَّ ﴿إِذَآ﴾ تقلِبُه إلى المستقبل، فيكون القسَم بالحال المستقبلة من إسفارِ الصُّبح بعد نزول الآية[2].

سرُّ تكرارِ القسمِ:

المُـقـسَـم عليه متحقِّقٌ يقينًا

تكرارُ القسَم في قوله جلَّ ذكره: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾؛ للمبالغة في تحقُّقِ المُقسَم عليه[3]، ولزيادة التَّأكيد؛ فإنَّ التَّأكيد اللَّفظيَّ إذا أُكِّد بالتَّكرار يُكرَّر ثلاث مرّاتٍ غالبًا، وقد أقسَم تعالى بمخلوقٍ عظيم، وبحالين عظيمَين من آثار قُدرة الله تعالى[4].

براعةُ الطِّباقِ بينَ اللَّيلِ والصُّبحِ:

إضـاءةُ الصُّبح تُـكـمِـلُ ذهـابَ ظُلمةِ اللَّيل

في الجمع بين اللَّيل والصُّبح في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ رعايةٌ لمحسِّن معنويٍّ، وهو الطِّباق، وبذلك يكون أمام السّامع صورتان يكمِّل بعضُهما بعضًا؛ فإنَّ إسفار الصُّبح - وهو إضاءته - يُكمِّل إدبارَ الليل، وهو مُضيُّه وذهابُ ظلمته، وفي ذلك ما لا يخفى من ملاءمة التَّمثيل لحالَي المهتدين والضّالّينَ.

دلالة الموقعِ الإعرابي لجملة ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾:

سقر هولٌ عظيمٌ جديرٌ بأن يُتذكَّر به

الواو المفتتَح بها قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾، واو القسَم، وهذا القسَم يجوز أن يكون تذييلًا لما قبله مؤكِّدًا لما أفادته ﴿كَلَّا﴾ من الإنكار والإبطال لمقالتهم في شأن عدَّة خزَنة النّار، فتكون جملة ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ تعليلًا للإنكار الَّذي أفادته ﴿كَلَّا﴾، ويكون ضمير (إنَّها) عائدًا على سقر، أي: هي جديرةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322 - 323.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 433.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 322.

بأن يُتذكَّر بها، فلذلك كان مَن لم يتذكَّر بها حقيقًا بالإنكار عليه وردعِهِ، وجملة القسَم على هذا الوجه معترضة بين الجملة وتعليلها.

ويحتمل أن يكون القسَم صدرًا للكلام الَّذي بعده، وجملة ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جواب القسم، والضمير راجع إلى سقر، أي: إنَّ سقر لأعظم الأهوال[1].

نكتةُ تَوالي المؤكِّداتِ في ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾:

أُكِّد قوله ﷻ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ بـ (إنَّ) واللّام؛ لزيادة التَّخويف والتَّهديد، وللرَّدِّ على إنكارِهم العظيم لبلايا سقر واستهزائهم بعددِ خزَنتها[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ معناه: إنَّ سقر لإحدى البلايا أو الدَّواهي الكُبَرِ - على حذف الموصوف - ومعنى كونها إحداهنَّ: أنَّها من بينهنَّ واحدةٌ في العِظَم، لا نظيرةَ لها؛ كما تقول: هو أحدُ الرجال، وهي إحدى النِّساء[3]، فيكون الكلامُ كنايةً عن شدَّة هَوْلِها، أو المراد: أنَّها واحدةٌ سبعٍ هي غايةٌ في الكبر، أي: دركاتِ النّار، وهي: جهنَّم فلظَى فالحُطَمة فالسَّعير فسقر فالجحيمُ فالهاوية، هي إحداها في عظيم أقطارِها وشديدِ إيلامها وإضرارها[4]. وأيًّا ما كان ففي الكلام إشارةٌ إلى أنَّ بلاءَهُم غيرُ محصورٍ فيها، بل تحلُّ بهم بلايا غيرُ متناهية[5].

بلاءُ المعذَّبين في سقر شديدٌ غيرُ متناهٍ

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْكُبَرِ﴾:

إن كان المرادُ بالكُبَر البلايا او الدَّواهيَ فتعريفُها للجنس،

سقر فردٌ من أفراد البلايا أو الدَّواهي أو دركات النّار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 321.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 68 - 69.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 653، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 19/ 432.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 69.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 145.

والمعنى: إنَّ سقر لفَردٌ من أفراد البلايا أو الدَّواهي، وإن كان المرادُ بالكُبَر درَكات جهنَّم فالتَّعريفُ للعهد، والمعنى: إنَّ سقر لفَردٌ من أفراد الدَّرَكات المعروفة المعهودة.

علَّةُ تذكيرِ ﴿نَذِيرًا﴾:

رعـايـةُ المعنى وتقديمُها على رعاية اللَّفظ

الظّاهر أن يقال: (نذيرةً)، وإنما ذُكِّر ﴿نَذِيرًا﴾؛ لأنَّ معناه معنى العذاب، أو أراد: ذاتَ إنذارٍ على معنى النَّسب، كقولهم: امرأة طالق وطاهر[1]. ولأنَّ النَّذير هو المُنذِر، وأصلُه وصفٌ بالمصدر؛ لأن ﴿نَذِيرًا﴾ جاء في المصادر كما جاء النَّكير، والمصدر إذا وُصِفَ به أو أُخبِرَ به يلزم الإفرادَ والتَّذكيرَ، وقد كثُر الوصفُ بالنَّذير حتَّى صار بمنزلة الاسم للمُنذِر[2].

بلاغةُ موقعِ ﴿نَذِيرًا﴾ مِنْ حيثُ الإعرابُ:

فـخـامـةُ شـأنِ سقر في الإنذار

قوله: ﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من (إحدى) على معنى: إنَّها لإحدى الدَّواهي إنذارًا، كما تقول: هي إحدى النِّساء عفافًا[3]، وفائدةُ التَّمييز هي الإيضاح بعد الإبهام، وهو أسلوبٌ يُشوِّق النَّفسَ لتلقّي الكلام، أو حال عمّا دلَّت عليه الجملة؛ أي: كبُرت منذرةً[4].

غرضُ تنكيرِ ﴿نَذِيرًا﴾:

هولُ إنـذارِ سقر لا يوصَف

تنكير ﴿نَذِيرًا﴾ في قول الحقِّ ﷻ: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ للتَّعظيم، أي: نذيرًا عظيمًا، لا يُقادَرُ قَدْرُ هَوْلِه وعظمته، وفي ذلك مزيدُ حثٍّ لهم على الاتِّعاظِ والاعتبار، وتركِ الكفر والعِناد.

نكتةُ صيغةِ (فعيلٍ) في ﴿نَذِيرًا﴾:

جيءَ بصيغة (فعيل) في قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا﴾؛ للمبالغة في وصفِ سقر بهذا الوصف المُنبئ عن التَّحذير والتَّخويف، فلا يبقى للعاقل عذرٌ مانعٌ من العمَل بمقتضَى الإنذار.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 85.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 323.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 714.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 262.

معنى اللّامِ:

اللّامُ في قوله سبحانه: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ وقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ صلةٌ لتقوية العامل[1]، فالبشر هم متعلَّق الإنذار.

دلالةُ تعريفِ البشرِ:

إنـذارُ سقر عامٌّ لجميع الناس

تعريفُ البشر في قوله ﷻ: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ للجنس المستغرِق لجميع الأفراد، فسَقر نذيرٌ لكلِّ النّاس، وإنذارُها لا يختصُّ بأحد؛ فهي حثٌّ للمؤمن على زيادةِ الطّاعة، وحثٌّ للكافر على الإيمان والطّاعة.

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بالبشرِ:

عُبِّر بالبشر في قوله جلَّ من قائل: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾؛ للإشارة إلى إسراع الجسم العاديِّ في قبول التأثُّر لا سيَّما بالنّار[2]، وذلك أنَّ البشر قد سُمّوا بذلك لظُهور بشرتهم.

بلاغةُ موقعِ جملة المشيئة مِنْ حيثُ الإعرابُ:

الـذِّكـرى تنفع مَـن يـترك الـكِبْر والعِناد

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدلُ مفصَّلٍ من مُجمَلٍ من قوله: ﴿لِّلْبَشَرِ﴾، وأُعيدَ حرف الجرِّ مع البدل للتَّأكيد، كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: 75]، والمعنى: إنَّها نذيرٌ لمَن شاءَ أن يتقدَّم إلى الإيمان والخير لينتذِرَ بها، ولمَن شاءَ أن يتأخَّر عن الإيمان والخير فلا يَرعويَ بنِذارتها[3].

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ (مَنْ):

جيء بالموصول (مَن) في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؛ لأنَّه من ألفاظ العموم، فيُفيد الكلامُ أنَّ سقر نذيرٌ لكلِّ مَن يشاءُ التَّقدُّم أو يشاءُ التَّأخُّر.

---

(1) السمين، الدر المصون: 10/ 553.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 69.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 323.

سرُّ تعليقِ النَّذيرِ بالمشيئةِ:

مَن أساءَ فعلى نفسِه

تعليق ﴿نَذِيرًا﴾ بفعل المشيئة في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ إنذارٌ لمَنْ لا يتذكَّر بأنَّ عدم تذكُّره ناشئٌ عن عدم مشيئته، فتبِعتُهُ عليه لتفريطه[1]، وهذا وعيدٌ وتهديدٌ وإنْ خرجَ مخرجَ الخبر، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: 29][2].

بلاغةُ الالتفاتِ مِنَ الغيبةِ إلى الخطابِ في ﴿مِنكُمۡ﴾:

مَن يتأمَّل مواضعَ الصِّدق يُهدَى الى الحقّ

في ضمير ﴿مِنكُمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ التفاتٌ من الغيبة إلى الخِطاب؛ لأنَّ مقتضَى الظّاهر أن يُقال: لمَن شاء منهم، أي: من البشر[3]. ونكتةُ هذا الالتفات: التَّصريحُ بالمقصود؛ لئلّا يتعنَّتَ متعنِّتٌ فيقول: المرادُ غيرُنا، وليصيرَ كلُّ مخاطَبٍ به كأنَّه هو المقصودُ بذلك بالقصد الأوَّل، فيتأمَّلَ المعنى في نفسه، فيجدَهُ صادقًا، ثمَّ يتأمَّل فلا يجدَ مانعًا من تعديَتِهِ إلى غيرِه من جميعِ البشر[4].

غرضُ تقديمِ ﴿مِنكُمۡ﴾:

العاقلُ يُدرك خطورةَ السَّبيلِ الَّذي يَسلكُه في الاعتقاد

قُدِّم ﴿مِنكُمۡ﴾ على ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ للعناية بالمقدَّم - وهو تعلُّق اختيار الهدى أو الضَّلال بهم - ليدرك الإنسانُ خطورة سلوك السَّبيل الَّذي يختاره، وللتَّشويق إلى المؤخَّر.

براعةُ التَّعبيرِ بالتَّقدُّمِ والتَّأخُّرِ:

التَّقدُّم قبولُ دعوةِ الدّاعي، والتأخُّرَ رفضُها

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ معناه: لمَن شاء أن يتقدَّمَ إلى الإيمان والخير لينتذر بها، ولمَن شاء أن يتأخَّرَ عن الإيمان والخير فلا يَرعويَ بنِذارتها؛ لأنَّ التَّقدُّمَ مشيٌ إلى جهة الأمام، فكأنَّ المخاطَب يمشي إلى جهة الدّاعي إلى الإيمان، وهو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 323.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 398.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 324.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 70.

كنايةٌ عن قبول ما يدعو إليه، وبعكسِه التَّأخُّر[1]. أو هو كنايةٌ عن كون المكلَّفين مُختارين متمكِّنين من فعل الطّاعة والمعصية[2].

ويجوزُ أن يقدَّر: لمَن شاءَ أن يتقدَّم إليها، أي: إلى سقر بالإقدام على الأعمال الَّتي تُقدِّمه إليها، أو يتأخَّر عنها بتجنُّب ما من شأنه أن يُقرِّبه منها[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾:

القصدُ والعزمُ يسبقانِ الفعل

جيءَ بصيغة المُضارع في قوله ﷻ: ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؛ لأنَّ التَّقدُّم، أو التَّأخُّر أمران مستقبلان بالنِّسبة لزمنِ المشيئة؛ فالإنسانُ يختارُ شيئًا، ويعزمُ عليه، ويُصمِّم ثم يفعله.

سرُّ حذفِ متعلّقاتِ التَّقدُّمِ والتَّأخُّر:

التَّقدُّمُ إلى الإيمان والخير والتأخُّرُ عنهما

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ معناه: لمَن شاء أن يتقدَّمَ إلى الإيمان والخير لينتذِرَ بها، ولمن شاء أن يتأخَّرَ عن الإيمان والخير فلا يَرعويَ بنِذارتها، لمَن شاء أن يتقدَّم إليها، أي: إلى سقر بالإقدامِ على الأعمال الَّتي تُقدِّمه إليها، أو يتأخَّر عنها بتجنُّب ما مِن شأنه أن يُقرِّبه منها، فحُذف متعلِّق ﴿يَتَقَدَّمَ﴾ و﴿يَتَأَخَّرَ﴾ على الوجهين إيجازًا؛ لظُهوره من السّياق[4].

غرَضُ تقديمِ التَّقدُّمِ على التَّأخُّرِ:

الأولى للعاقل أن يَختارَ الإيمانَ والطّاعة

تقديمُ التَّقدُّم على التَّأخُّر في قولِ الباري ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ الأولى للإنسان العاقل أن يختارَ التَّقدُّم إلى الإيمان والطّاعة، ولرعاية تلاؤم الفواصل.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 323.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 16/ 141.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 323.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 323.

وجه العطف بـ﴿أَوْ﴾:

﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ للتَّخيير مع امتناع الجمع؛ فالإنسانُ إمّا أن يختارَ أن يكونَ مؤمنًا شاكرًا، وإمّا أن يختارَ أن يكونَ جاحدًا كافرًا.

براعةُ الطِّباقِ بينَ التَّقدُّمِ والتَّأخُّرِ:

صـورةُ الإيمـان وصـورةُ الكُفر ماثلتـان أمـام السّامع

في الجمع بين التَّقدُّم والتَّأخُّر في قوله ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ رعايةٌ لمحسِّنٍ معنويٍّ، وهو الطِّباق، فيرى السّامعُ صورتين متقابلتين؛ إحداهما سعيٌ إلى الإيمان والخير والطّاعة، والأخرى تَرَدٍّ في مَهاوي الكفرِ والعصيان، وفي ذلك حثٌّ لأصحاب العقول السَّليمة على اختيار الحالة الأولى.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصُّبح والضُّحى والفجر:

الهـدايـةُ نـورٌ يضيءُ للمهتدي

الصُّبح: أوَّلُ النهار، وهو وقتُ احمرار الأُفق بحاجبِ الشَّمس[1]. والضُّحى: انبساطُ الشَّمس واشتدادُ حرارتها[2]. والفجرُ فجران: الكاذب، وهو ظهورُ خيطٍ أبيضَ عموديٍّ يظهرُ من جهة طلوعِ الشَّمس، ثمَّ لا يلبثُ أن يختفيَ، ويعقُبُه ظهورُ خيطٍ أبيضَ أفقيٍّ يبدأ بالانتشار؛ إيذانًا بشروقِ الشَّمس، ويُسمَّى الفجرَ الصّادق[3].

وقد عُبِّر بالفجر هنا؛ لأنَّ المقصودَ ذِكر حالةِ ابتداءِ ظهورِ ضوءِ النَّهار وانقشاعِ ظُلمة اللَّيل؛ ليُمَثَّلَ بها صورةُ الحقِّ والهداية.

المشيئة والإرادة:

الإنـسـانُ بين إصابةِ الهُدى أو إصابةِ الضَّلال

المشيئة من الإنسان تقتضي الإصابة، وأمّا الإرادةُ فلا تقتضي

(1) الراغب، المفردات: (صبح).
(2) الراغب، المفردات: (ضحي).
(3) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 656.

ذلك، فقولك: شاءَ فلان الزِّنا يعني إصابتهُ له ووقوعهُ وحصولهُ منه، وقولك: أرادَ فلان الزِّنا يعني أنَّه طلبَهُ ونَواه، ولا يستلزمُ ذلك أن يقعَ منه[1].

وقد عُبِّر بالمشيئة هنا؛ لأنَّ المقصودَ بيانُ أنَّ الإنسانَ لا يخلو من إصابة الحقِّ والهُدى أو إصابةِ الباطل والضَّلال.

(1) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 113.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"